ثقافة القراءة وأثرها في الكفاءة الكتابية التعبيرية

د. مريم سعيد علي بالعجيد

من السهل جداً أن نلحظ ونقيم المستوى العام للكفاءة اللغوية الكتابية التعبيرية لدى الطلبة في جامعاتنا. ولا أظننا نصل بملحوظتنا إلى ادعاء الرضا عنها ووسمها بالجودة العالية، أو الحرفية المتقنة، أو المثالية اللغوية اللائقة بمعطياتنا التراثية ولا أنها تصل إلى وصفها بالمخرج الفعّال لأهداف المؤسسات التعليمة.

وحين نقيس هذه المستويات من منطلق أننا أمة تحمل رسالة خالدة جاءت بأروع وأبلغ نظام لغوي تعبيري فهذا منطلق حتمي طبيعي يقيس الفرد ضمن جماعته، ويقيس الملكة ضمن الموروث الجماعي المشترك بين هؤلاء والذي يعدّ جزءا لا يتجزء من حياتهم اليومية لن يكون القياس ليس في صالح حال واقعنا!.

وإن تجاوزنا هذا المقياس الحادّ والمثالي بالنظر إلى واقع الحال، فإن قياس هذه المستويات من منطلق ما تقدّمه المؤسسات المجتمعية والتعليمية وما ينجم عنها من الأثر يصطدم مع حقيقة أن النتيجة أقل بكثير من المأمول.!

إن المؤسسات التربوية والتعلمية في المجتمعات العربية تُعنى كثيراً في مناهجها في الوضع والتخطيط والمَنهجَة لبرامجها التعليمة على ضوء الكثير من المعطيات البارزة كالتحسين والتطوير والتنمية والتنويع، والانفتاح وتبادل المعلومات والخبرات، وتجربة الجديد والأصالة مع الحداثة، والهوية والعولمة، وغيرها مما يشغل مكاتبها وخططها ووزاراتها وخبراءها .. وفي كل ذلك يتردد المخرج الأبرز الذي تسعى إليه: إعداد وإخراج طالب متمكن من خوض الحياة، محصن بالعتاد العلمي المناسب والتهيئة الثقافية الملائمة للأطر المحلية والعالمية.

فهل نجحت مؤسساتنا في الحصول على هذا المخرج؟ وما نسبة تحقق هذا المخرج إلى جملة الحصاد العام لمسيرة هذه المؤسسات؟ هل تتلاءم نسبة تحقق هذا المخرج مع الجهود العامة المبذولة لتحقيقة؟

والسؤال الذي يعنيني أكثر...في ظل الاعتراف والرضى بحقيقة النجاح في صناعة مخرجات علمية عالية المستوى، هل تحقق لنا ما نرجو من مخرج متمكن من التعايش اللغوي السليم في ظل فورة التقدم والتحصيل العلمي؟ بمعنى... هل لدنيا نسبة كفاءات لغوية كتابية تعبيرية تُرضي ولا تجحف بالجهود المبذولة لذلك؟

قد نتفق وقد نختلف في تحديد نسبة تحقق هذا، لكنني لا أظننا نختلف في أنها لم تصل إلى المستوى المرضي الذي نرجوه ونتطلع إليه نحن ومؤسساتنا وأهدافنا المستقبلية!.

وإذا اقتربنا من واقع حال المؤسسات الجامعية والتعليم العالي وحال المخرج الذي نغني عليه لدى الطلبة سنجد أننا بين مسارين:

الأول: طلبة التخصصات العلمية والعملية الدقيقة، والثاني: طلبة التخصصات الإنسانية والاجتماعية والشرعية والإعلامية. وأعني بهم الفئة البعيدة عن المعادلات والحسابات والنظريات والمختبرات؛ إذ ضرورة الكفاءة اللغوية الكتابية التعبيرية التي نترقبها ونحتاجها ويتحتم حضورها لدى طلبة المسار الثاني أكبر من الأول..

وهذا لا يلغي أهميتها في التعليم والتعلم لدى الفئة الأولى، لكن هؤلاء يتعاطون بالمصطلحات العلمية الرقمية والحسابية في نصوصهم، في حين الفئة الثانية تتمثل محصلتهم العلمية فيما يتقدم به هؤلاء الطلبة من نماذج لغوية عبر الجمل والفقرات والنصوص كثيراً. وهنا تكون مساحة اختبار وأهمية الكفاءة اللغوية أشد وألحّ.

في اختبارات الفئة الأولى تكون الإجابة صحيحة أو خاطئة مطابقة أو غير مطابقة. في حين اختبارات الفئة الثانية تكون المعضلة: هل استطاع الطالب في كتابته وتعبيره أن ينقل المعلومة أو الإجابة

من ذهنه إلى الورقة إلى الأستاذ بشكل سلسل منظم وناجح؟ فالكتابة التعبيرية الرقمية مختلفة عن الكتابة التعبيرية بالألفاظ والجمل والتراكيب اللغوية.

وهذا هو مفترق الطرق بين الكفاءة اللغوية الكتابية التعبيرية التي يقع على عاتقها الجزء الأكبر من صحة الإجابة من عدمها، وبين غياب هذه الكفاءة وتشتت المعلومة التي لم تجد لها طريقاً سلساً يمنحها حق رؤية النور..بل هي ذاتها كانت مظلمة!!

وإذا تجول السؤال بين أساتذة هؤلاء الفئة..كيف وجدت كتاباتهم وإجابتهم؟

سنجد أن الكثير منهم يتميز غيظاً من سوء الكتابة، وضياع الإجابة.. فلا يكاد يضع يده على الجواب حتى تتفلّت منه نصاعته وجلاء فكره؛ لتَفَلُّت اللغة كتابة وتعبيراً من صاحبها وأعني به الطالب!!

وقد كانت الشكوى تكاد تنحصر سابقاً في السلامة اللغوية الإملائية والنحوية والتي كانت توصف بالخطيئة أو الضعف، لكن صار الوضع الآن أدهي وأمرّ!؛ إذ تفاقمت الشكوى لتصل إلى أن يستنكر الأستاذ أن يكون الطالب الذي كتب هذا النص أو تلك الفقرة عربي الأصل واللسان!!

إنه تخبط مخزٍ في محاولة ذوي الكفاءة القاصرة إنشاءَ جملة أو التعبير عن فكرة، أو الإجابة عن تساؤل عابر مشافهة أو كتابة..

السؤال الآن..لماذا؟ على الرغم من الجهود المبذولة والكبيرة والتمويل المالي الهائل الذي يمنح للمؤسسات التعليمة على تفاوت درجته! نفخر ببرامجنا، ونسطر أهدافنا، وتُخرِجُنا مخرجاتنا؟!!

إن هذا السؤال المؤرّق دفع بالكثير من الأقلام إلى الكتابة في الظواهر والأسباب والعلاج للمؤسسات التعليمية ومخرجاتها عموماً.. كما إن ما يلامسه الأساتذة لاسيما معلمي اللغة العربية وكل معلم صاحب ملكة لغوية تواصلية كتابية وتعبيرية- حين يكشف عن قراءة الطالب أو كتابته لتكليفات المنهج الصفية واللاصفية، وكذلك لأدائه في السؤال التعبيري الكتابي في الامتحانات يجعله يشعر بالامتعاض والأسى على حال هؤلاء وألسنتهم وأقلامهم المعوّجة، فقد يسري هذا الاعوجاج إلى الفكر والهوية والقضايا الوطنية والدينية، بل يجعل هؤلاء أشبه بمن يهاجر بعيدًا عن الأرض الخصبة للأجداد وحصادها العلمي اللغوي وغيره الذي باتوا لا يعلمون عنه إلا اللَمَمْ..

قد تساءلت كثيراً حين كنت في المرحلة الابتدائية، كنت أفوقُ زميلاتي تحصيلاً في مواد الدراسة كلَّها عدا مادة التعبير! إذ كانت لدي زميلة متفوقة ومبدعة في كتاباتها، بل وغزيرة، فلا تكاد المعلمة تبدأ بإعطاء موضوع التعبير حتى نلمح صديقتنا بدأ تمطر صفحات كرّاسها بالتعبير!! تساءلت عن السر؟ عن السبب في هذا الإبداع؟ ماذا كان ينقصني حتى يكتمل تفوقي الدراسي؟! أدركت بعد فترة من المراقبة والتدبر لمزايا صديقتي وحديثها عن القصص والروايات التي تقرؤها أن السر كان (القراءة)، ولم أكن لأجزم بهذا تماماً إلا بعد أن جرفت نفسي نحو هذه المهارة وانغمست في القراءة الكثيرة فلم ألبث طويلاً حتى تحقق لي ما أردت..

ومرت السنين وها أنا أكلّف طالباتي تكاليف كتابية تعبيرية كما هو الحال في مساق (فن الكتابة والتعبير) وغيره، وتطالعني مع الأزمة التي نتحدث عنها إشراقة أخرى جميلة لكاتبات واعدات، فأستحسن منهن جمال العبارة وروعة التركيب وعمق الفكرة، بل في كثير من الأحيان تأخذني هؤلاء بعيدًا لأشعر بأني أقرأ في صفحة من رواية أو قصة شائقة ومثيرة لا يقطعها سوى توقف قراءة الطالبة للفقرة القصيرة. وفي كل مرة أسأل هؤلاء عن قراءاتهن أجد الجواب الذي يؤكد لي علاقة القراءة بالإبداع الكتابي والتعبيري من خلال تبني هؤلاء للقراءة وحبها وتنويعها..

هذا كله وغيره يدفعني إلى القول أن للقراءة أثرها الفاعل والمباشر في مهارتي الكتابة والتعبير، ورفع مستوى الطالب فيهما، وبناء مجتع متوازن سليم في عملياته الاتصالية الداخلية أو الخارجية.

فما القراءة؟ وما المرد بالكتابة والتعبير؟ وما العلاقة الوطيدة بينهما؟

إن القراءة إحدى المهارات الاتصالية الأساسية، وهي: مهارات التحدث، مهارات الاستماع، مهارات الكتابة، مهارات القراءة، مهارات التقديم والعرض، وغيرها.

والقراءة مهارة بصرية نطقية لاكتشاف الرموز المكتوبة (الكلمات والتراكيب)، ثم إدراك العلاقات بين هذه المقاطع وربطها بالمعاني، وتفسيرها وفقاً لخبرات القارئ الشخصية المعرفية التراكمية. إنها القدرة على نطق المكتوب وفهمه.

أما الكتابة فمهارة عقلية يدوية، وهي "القدرة على التعبير عن مجموعة أفكار، وعرضها وتدوينها بطريقة منظمة، وبلغة صحيحة، وأسلوب سليم طبقاً لنظام تركيب اللغة."(١) إنها القدرة على الرسم الكتابي السليم للأفكار المخزونة في الذهن. وهي المهارة التي يُعنى البحث كثيرًا بأثر القراءة في كفاءتها.

والتعبير هو الإفصاح والإبانة عما يجول في النفس من أفكار ومعارف وأحاسيس نرغب بإيصالها للآخرين بالقلم أو اللسان، فالتعبير يكون كتابياً ويكون شفاهياً. والتعبير في شطر منه كتابة مادية ملموسة يدوياً أو إلكترونياً، وشطره الآخر مهارة شفاهية نطقية تلقائية أو مخططة. وفي الحالتين: الكتابية والشفاهية فالفرد يعبر ويفصح ويبين عما في فكره ونفسه. غير أن الكفء في التعبير الكتابي قد لا يكون كفئا في التعبير الشفاهي ضرورة، و العكس صحيح.

وبالعودة إلى القراءة سنلحظ أنه انسابت من بين أيدي أبنائنا ثقافة القراءة، فلم يعد هؤلاء يملكون حسًّا يدرك قيمة القراءة، وأثر القراءة في الحفاظ على الهوية، وجدواها في بناء الإنسان والمجتمعات والحضارات، وانحسر مفهوم الحضارة عندهم عن القراءة النافعة، لتصير الحضارة حكراً على مظاهر مادية آنية تخضع لمفهوم الآخر القوي، ويقلده فيها الضعيف المهزوم، المنسلخ عن ثقافة القراءة، التي انطمست من قاموسهم الحديث الهزيل.

يقول عبدالعزيز جاسم:"فإن إنسانًا لا يقرأ، لا يحب القراءة، ولا يجد من يزرع فيه بذرة القراءة، بخاصة في عصر مثل هذا العصر، هو أشبه ببطيخ فاسدة من الداخل. مجرد قشرة خضراء تلمع في الحقل أو في السوق. مواطن لا يدرك معنى مواطنيته ولا معنى حريته أيضاً. طاقة معطلة ذاتياً..."(٢).

وكثيرة هي شواهد هذا الحال، انظر- مثلاً- لما تقوله الدكتورة شيخة سيف الشامسي وكيل الوزارة المساعد للناهج والبرامج التعليمية: "ومن مؤشرات تمكن الطلبة منها[القراء] في الدول الغربية نفاد طبعات بالملايين لبعض قصص الأطفال الموجهة للطلبة، في سن التاسعة والعاشرة، ما يعني أن هناك الملايين من الأطفال الذين يقرؤون. وتجدر الإشارة إلى أن عدد صفحات القصة يصل أحيانا إلى أربعمائة صفحة، تحوي كل صفحة كثيراً من الأسطر، في حين يعجز كثير من طلبتنا في المرحلة الثانوية عن قراءة ثلاث صفحات متتالية، فعلي سبيل المثال يعجز كثير من الطلبة لدينا عن إكمال قراءة الإرشادات عند استخدامهم برنامج حاسب آلي جديد، على الرغم من رغبتهم في استخدامه."(٣).

وكذلك أظهرت المعطيات الإحصائية عن اليونسكو ومؤسسة الفكر العربي أن "متوسط قراءة الفرد العربي لا تتجاوز ال ٦ دقائق في السنة، بينما تفيد تلك التقارير أن معدل قراءة الفرد الأوروبي هي ٢٠٠ ساعة سنوياً. كما تذكر تلك التقارير أن كل ٢٠ عربياً يقرؤون كتابا واحدا في السنة، في الوقت الذي يقرأ فيه البريطاني ٧ كتب."(٤).

ويربط باحث آخر بين القراءة والأمية، ويشير إلى ضياع ثقافة القراءة من الجيل، يقول: "الوطن العربي حاليا يعاني من تدهور الثقافة في جميع اتجاهاتها وأنشطتها، ويأتي في مقدمة الأسباب انحسار عادة القراءة والابتعاد عن التثقيف والتثقيف الذاتي، إن غالبية الشباب العربي لا يقرأ لأنه لم يتعود على القراءة، والواقع العربي لا يشجع على القراءة البناءة..."(٥).

ولعلّ من الأسباب المنفرة من القراءة: "عدم معرفة قيمة القراءة، والابتداء بالكتب والمراجع المتقدمة قبل أخذ الأساسيات من الكتيبات الصغيرة ، وعدم وجود الزملاء والأقران ممن يحبون القراءة وكذلك عدم وجود التشجيع من الآخرين، وسرعة الملل، وقلة الصبر، طول الكتاب أو الموضوع ، والانشغال في بعض المطبوعات من مجلات وصحف غير ذات النفع."(٦)

فضلًا عن أنّ "الإبداع المرئي في الوقت الراهن يسير في طريق يقلل –يوماً بعد يوم- من وهج الإبداع المكتوب، ومن هذا المنطلق أصبح الإقبال على مشاهدة أعمال أدبية مثل: هاري بوتر، اللص والكلاب، الأيام، أكثر متعة من الإقبال على قراءتها"(٧).

إنّ الواقع المعاصر لا يتوافق مع طبيعة حال الأمة العربية القارئة منذ صدر الإسلام، فثقافة القراءة كانت متأصلة في الشخصية العربية، وفي جانب ذي قيمة عالية ومقدسة في تاريخ العرب الإسلامي، ولعلّ هذا يعيد الثقة في توافر الوجود القرائي الديني الداعي إلى الفعل القرائي العام اليوم، إن "الإنسان العربي بحد ذاته قارئ؛ لأن وجوده الحضاري والقومي والديني قائم على القراءة. فالحضارة العربية ليست تكنولجيا ولا صناعات أكثر

منها أبجدية وشعراً وأدبًا وفكرًا، ومن هنا لايمكن للإنسان العربي إلا أن يكون قارئاً"(٨).

ويكفينا لنؤمن بذلك أن نتذكر أن كيانه الديني مرتبط بقراءة القرآن الكريم؛ إذ لم يكن للعرب كتاب قبل القرآن الكريم الذي نزل وجعلهم (أمة اقرأ).

وتختلف درجة إيمان الأفراد بالقراءة وأنماطها وأغراضها فيما بينهم، كما تخضع لاختلافات العمر والتعليم ومستوى القارئ الاجتماعي والثقافي. ولذلك يصنّف البعضُ(٩) القرّاءَ على نحو يَشي بطبيعتها وأصحابها- إلى:

١-العاجز عن القراءة: بسبب الأميّة أو الفقر.

٢-القارئ الصدئ: من يُحسن القراءة لكنه لا يقرأ نتيجة الفشل الدراسي أو الانتهاء من المرحلة الدراسية.

٣-قارئ الديكور: من يستعمل الكتاب لتزيين المكتبة وخلق انطباع بأنه مثقف!

٤-القارئ المولع بالاقتناء لكن لا يملك الفرصة لقراءة كتبه.

٥-القارئ المتعلم: من لا يكتفي بالمظهر والديكور بل يتجاوزها إلى الإدلاء بآرائه، وهو القارئ اللاقارئ؛ فقراءته سطحية أو آنية لا تضيف إلى صلب الثقافة.

٦-القارئ الناضج: من يتميز بحماسته للقراءة وامتلاكه لمهارات القراء وامتلاك الأفكار وقولبتها.

٧-القارئ الناقد: ثمرة القراءة الناضجة، يملك القدرة على النقد والتمييز بين الصحيح والخطأ من الأفكار وتقييمها.

لذلك لابد أن نسعى لخلق ثقافة لدى الأفراد بماهيّة القراءة الناجحة والفارقة في تحصيل العلوم والإنجازات الذاتية والمجتمعية. إذ لايكفي بأن يدّعى الجهل، أو اقتناء مكتبة عامرة بآلاف الكتب المُصْمَتة، أو القراءة الباهتة الآنيةُ المدى المعرفي، بل عليها أن تصل لمستوى ناضج وناضح بالإبداع والإضافة والابتكار.

لذلك تطورت مستويات القراءة لتصل إلى ما يُسمى بالقراءة الابتكارية. وتعرّفها الأستاذة هند الجديع مساعدة إدارية في الإدارة العامة لرعاية الموهوبات بأنها تفاعل القارئ مع المادة المقروءة، بحيث يكون حساساً للتنافر في النص، يطرح أسئلة، يبحث عن إجابات لها ويضع المعلومات في محتوى متكامل ذي معنى، ويطبق استبصاراته في مواقف جديدة، وهي تنمية للطالب ولقدراته العقلية، وتساعده على توليد أفكار مبتكرة.(١٠)

إنها القراءة التي تجعل من الكتاب مصدرا للتفكير والإبداع. وتجعل المتعلم يكتسب الحقيقة فيما يقرأ ويستدعي الأفكار المخبوءة التي يمتلكها ويمزجها بتخيله فيصبح قادرا على توظيفها واستخدامها أو إعادة كتابتها والتعبير عنها.(١١)

ولذلك فإن القراءة هي البوابة للأولى للكتابة والتعبير، والعلاقة النفعية الناجحة بين هذه المهارات تبادلية مطّردة، قد نجد قارئًا يُحجم عن الكتابة-على امتلاكه لدعائمها-، أو يتوارى عن التعبير بثقة وشجاعة-لعوامل نفسية أو مجتمعية أو سياسية لكنها دون غياب الكفاءة التعبيرية-، لكن لن نجدَ كاتبًا أو مفوّهًا في التعبير لا يملك مهارة واضحة في القراءة.

إنّ "القراءة عنصر فعال في تنمية المفاهيم والقيم عند القارئ، وفي تطوير خبراته المختلفة وخاصة في التفاعل مع الآخرين"(١٢) كالاتصال الكتابي والتعبيري بالآخرين.

يقول وائل ديوب: "القراءة فعل حضاري خلاق يهدف إلى تأسيس معرفة وجمالية، وأي نوع من أنواع الكتابة لا يحقق حضوره الإيجابي وفعاليته إلا من خلال القراءة، التي يجب أن تكون مركزة وموجهة لغرض البناء المعرفي وردم الهوة الثقافية."(١٣).

ويقول د.قدور رحماني: "لا يوجد في الواقع حديث عن الكتابة ولذتها بمنأى عن الحديث عن القراءة وما تلتئم عليه من متعة"(١٤). ويعبّر الكاتب عن الكتابة بأنها نشاط إنساني عتيق يعد من أشرف العناصر التي رتبت الإنسان في أعلى المقامات والرتب النبيلة، إذ لولا وجود الكتابة والكلام لكان البشر اليوم جميعاً في عدم. كما يرى أن القراءة هي وجه آخر للكتابة؛ لسعيها نحو اكتشاف الخفي، وهي كتابة لا نهائية يمارسها القارئ بكل حرية(١٥).

إنها علاقة تفاعلية وترابط دائم بين القراءة والكتابة، وكما أشار أحدهم بأن هاجس الكتابة لا يوجد إلا مع القراءة الجيدة المستمرة؛ فإهمال القراءة يفضي إلي الانسحاب تدريجيا من عوالم الإبداع والتحليق، ويضعف رغبة الكاتب في الكتابة، حتى يفقد مذاق القراءة ويُعْيِيه الوصول إلى مفاتيح الكتابة التي كان يمتلكها. القراءة والكتابة ظاهرتان ملازمتان لوعي الإنسان، يفرزان إنتاجًا بشريًا يظل حيًّا ويمثّل المشاعر الإنسانية

في أقسى اللحظات وأجمل المواقف.(١٦)

وحين تكون معادلة القراءة والكتابة على هذا النحو الوثيق العرى كان حريًّا بقادة الفكر والإبداع ومحبي الهوية العربية الأصيلة والمتطورة أن يسعوا لإعادة ثقافة القراءة بين ظهراني أمة (اقرأ)، فهي انطلاقة العودة للتحليق والتميز الأصيل، وبداية لفورة مستقبلية ذات وعي ونضج فكري تعبيري تواصلي حتمي للنجاح والتواصل الخلّاق؛ فـ"إن أردتم بناء مجتمع متطور فعلموا أبناءه القراءة"(١٧).

وعلى هذا السبيل يمكن تأمل أصالة القراءة في أمة القراءة، المتمثلة في قراءة القرآن الكريم منذ ألف وأربعمئة قرن. فقراءة وتلاوة القرآن الكريم من أفضل المحفزات على القراءة السليمة الصحيحة ذات النفع اللغوي التعبيري البعيد المدى.

إن للقرآن الكريم أثره في الكفاءة القرائية الكتابية التعبيرية، ومن أبرز آثاره في اللسان ما ذكره بعض الباحثين في دور القرآن في تنمية الطلاقة اللغوية في لسان الطفل العربي، كزيادة الثروة اللغوية، إذ تساعد الطفل في المستقبل على فهم الكثير مما يقرأ ويسمع، وتكسبه مهارة سرعة القراءة، والتحدث بطلاقة، والقدرة على التفكير والتعبير للمعنى الواحد بألفاظ مختلفة متنوعة، كذلك يتعلمون من خلال القرآن إتقان النطق الصوتي المتعلق بمخارج الحروف وصفاتها، فضلا عن البلاغة والفصاحة في العبارة لأن القرآن أفصح وأبلغ كلام. والقرآن يعوّد الطفل على القراءة ويحبّبه فيها.(١٨)إنها محصلات نطقية قرائية تعبيرية إبداعية.

إنّ الإنسان الذي يتقن الاستماع جيداً يستطيع التمييز بين الحروف والأصوات ومخارج الكلمات؛ فيكتسب مهارات فن الكتابة الصحيحة، ويزيد ثروته اللغوية، ويزدهر أداؤه التعبيري الكلامي والكتابي، وينقل إلينا إنتاج أعماله الفكرية من إبداع وشعر ورواية وقصة.(١٩)

وبذلك تتكامل المهارات بالاستماع والقراءة والكتابة والتعبير. وجدير بالإشارة ما تصنعه القراءة الجهرية من أثر بالغ في كفاءة الفرد الكتابية التعبيرية؛ ففي الجهر(الموجَّه) بالقراءة على النحو السليم ستُلفظ الحروف والرموز المكتوبة، ثم ستجد طريقها نحو المعاني المقصودة.

وهي أصعب من القراءة الصامته؛ لأنها تتضمن مهارات عدة، وتعدّ أداة هامة في عملية التعليم والتعلم، وهي أحسن وسيلة لإتقان النطق وإجادة الأداء وتمثيل المعنى. فتكشف عن نوعية الأساليب التي لاتدرك مراميها إلا بالقراءة الجهرية كالتعجب والإنكار والزجر والدعاء وغيرها. وكذلك هي علاج للخجولين والخائفين؛ لأنها تشعرهم بالثقة في النفس، فيتخطون حواجز الخوف والتردد(٢٠).

وإذا تأملنا المجتمع الإماراتي سنجد أن حقيقة أصالة القراءة ثابتة فيه كأي مجتمع مسلم مؤمن بكتاب الله، يلهج به، يقرؤه ويتلوه آناء الليل وأطراف النهار، فوجود القراءة أصيل، غير أن ثقافة القراءة بين أفراده فقيرة، وإذا ربطنا القراءة بفرص التعليم سنرى أنها حديثة مقارنة بغيرها من المجتمعات العربية العريقة في مؤسساتها التعليمية النظامية؛ إذ تعود أولى ملامح التعليم المدرسي النظامي إلى خمسينيات القرن العشرين. وكان المجتمع لا يزال يحبو في إسعاف نفسه بموارد الحياة وتوفير لقمة العيش، ثم جاءت تلك الطفرة الاقتصادية الهائلة التي أنعم الله بها على المجتمع الإماراتي فنقلته إلى بحبوحة العيش والعمران والتعليم.

لكن ذلك أفرز نواتج سلبية متفاوتة في قوة حضور ثقافة القراءة وملكتها بين أبناء المجتمع الإماراتي في السنوات اللاحقة. وبات أبناء المجتمع كحال كثير من أبناء الوطن العربي يوصمون بالضعف والهوان اللغوي في قدراتهم القرائية الكتابية التعبيرية، وأتت الدراسات المختلفة لتثبت تراجع المخرجات التعليمية عن المأمول منها.

ولم يرض قادة المجتمع الإماراتي وأبناؤه من أصحاب الفكر الناضج والوعي العميق من المثقفين والسياسين وأجهزة الإعلام الواعية الوقوف والتفرج على هذا الوضع؛ لإدراكهم حقيقة النجاح والتفوق الذي صعدوا سلّمه لم يكن ليكتمل ويصمد ويزدهر إذا بقي أبناؤنا تحت وطئة الأُمِّيَّة القرائية!! وهي من أسباب النجاح التي لم يغفل عنه المجتمع حتى تتكامل مسيرته وخطواته التقدمية الكبيرة.

تضافرت الجهود العديدة لتعيد صناعة الإنسان الإماراتي المثقف المتحصن بمهارات الاتصال السليم، ابتداء من مراحل الحضانة والطفولة وحتى أعلاها.

وتتحدث القيادة في دولة الإمارات عن أهمية القراءة في خطاباتها وحساباتها في وسائل التواصل الاجتماعي والإعلام الجديد، وكذلك المؤسسات الحكومية المعنية بالثقافة لاتألوا جهدا في تطوير النهوض بالفرد وتثقيفه، ولا تخلو المناطق السكنية من المكتبات العامة والخاصة، واحتضنت الدولة أهم معارض الكتب في

المنطقة والوطن العربي، وبالأمس القريب كانت خلوة المائة لابتداع وخلق أفكار جديدة لهذا العنصر الأهم في المنظومة المجتمعية وهو الإنسان، ويعلن والدنا صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان -حفظه الله- عام ٢٠١٦م عامًا للقراءة، فيعكس إدارك الدولة لأهمية القراءة في تغيير المسارات الحياتية وتحقيق الإنجازات على المستوى الداخلي والدولي.

كذلك وظف المجتمع الإماراتي الكثير من المبادارات لخدمة هذا الهدف العام كمشروع (ثقافة بلا حدود) لنشر ثقافة القراءة وحب الكتاب في كل بيت إماراتي في إمارة الشارقة؛ تنفيذا لتوجيهات صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة. ومشاريع أخرى تبنتها الشارقة كطلاق مبادرة تعد الأولى من نوعها في الوطن العربي، لدعم التعليم باللغة العربية بوسائل ذكية لطلبة إمارة الشارقة بهدف تعزيز اللغة العربية والتعلم بها من خلال أحدث الوسائل والبرامج العصرية وتهيئة البيئة المدرسية الملائمة للإبداع وذلك بالتعاون مع منطقة الشارقة التعليمية ومجلس الشارقة للتعليم (وتقضي المبادرة بتوزيع أجهزة حاسوب لوحية على كافة طلبة ومدرسين مدارس إمارة الشارقة الحكومية -مجاناً - متضمنة برامج تعليمية جديدة ومبتكرة باللغة العربية إلى جانب برامج تدريبية للهيئة التدريسية تم إعدادها بالتعاون مع مجموعة كلمات للنشر).

وأيضاً دعم أنشطة وبرامج وفعاليات اليونيسكو فيما يتعلق بالثقافة العربية وأيضاً اللغة العربية ومن أهمها رعاية جائزة الشارقة للثقافة العربية التي تقام في اليونيسكو منذ عام ١٩٩٨ والتي تمنح كل عام لشخصين أو جهتين يعملان أو يقدمان إنجازات من أجل تطوير الثقافة العربية عبر العالم.

ونجد مشروعاً متميزاً آخر هو (مشروع تحدي القراءة العربي)، أكبر مشروع عربي لتشجيع القراءة لدى الطلاب في العالم العربي عبر التزام أكثر من مليون طالب بقراءة خمسين مليون كتاب خلال عامهم الدراسي، وقد أطلقه صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي.

وغيرها الكثير من المبادرات كالتي يتبناها المجلس الدولي للغة العربية في دبي وغيرها.

التوصيات:

-إعادة نشر ثقافة القراءة بين أوساط الطلبة، وقيمتها في صيانة المجتمعات وبقائها وازدهارها عبر توفير وسائل اتصالية سليمة في القراءة والكتابة والتعبير.

-نهوض وسائل الإعلام المختلفة بأعباء التوعية والنشر والتثقيف المشوِّق لجذب الجيل المتذبذب في قراءته نحو قراءات مجدية عبر وسائل الإعلام.

-إعادة تأهيل معلّمي المدارس والجامعات بالنظم والمبادرات والمشاريع المثمرة لتفعيل دور القراءة على نحو جاد في العملية التعليمية والعلمية.

-تكثيف الوعى بقيمة القراءة الجهرية من خلال التركيز على قراءة القرآن الكريم والأنشطة المصاحبة لذلك.

-بث الوعي والتطبيق للقراءة الابتكارية بين أفراد وطلبة المؤسسات الجتمعية والتعليمية.

-إجراء دراسات ميدانية ومنهجية لابتكار طرق تعزيز تفعيل القراءة بين الأفراد ومتابعة تحقق ذلك، وتتبع محصلة ذلك في المخرجات الكتابية التعبيرية في الأداء الدراسي والإبداعي عموماً. وكذلك تحقيق التفاعل الواقعي بين المهارات الاتصالية الأساسية ببرمجة مناهجنا على نحو يخدم هذا الهدف.

الهوامش:

(١) الكتابة، وخصائصها، وأهميتها، وأنواعها، وعلاقتها بفنون اللغة الأخرى، د. وجيه المرسي أبو لبن، الموقع الرسمي للدكتور
http://kenanaonline.com/users/wageehelmorssi/posts/٢٦٩١٣٢

(٢) "ما قبل المكتبة وما بعدها"، عبدالعزيز جاسم، مجلة الثقافة التربوية، إدارة البحوث التربوية والمؤسسية- وزارة التربية والتعليم، دبي، الإمارات، المجلد ٢، ع ٥، ٢٠٠٥م، ص١٠ .

(٣) "إشكالية مهارة القراءة"، د.شيخة سيف الشامسي، مجلة الثقافة التربوية، إدارة البحوث التربوية والمؤسسية- وزارة التربية والتعليم، دبي، الإمارات، المجلد ٢، ع ٥، ٢٠٠٥م، التقديم ص٦ .

(٤) "بحث ندوة القراءة واللغة المحور ٤ج"، أ.د. محمود أحمد أبو كته الدراويش، كتاب المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية ، المجلس الدولي للغة العربية، دبي، الإمارات، المجلد ٦، ٢٠١٥م، ٥٣٨ .

(٥) "القراءة والأمية الثقافية"، وائل ديوب، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، سوريا، المجلد ٤٣، ع ٤٨٧، ٢٠٠٤م، ٩٣-٩٤.

(٦) انظر: تعريف القراءة، عبد الحميد شمس الدي، ٣١ مارس ٢٠١٤م، من موقع (موضع اقرأ عربي)-متفرقات أدبية
http://mawdoo٣.com

(٧) "الكتابة الأدبية بين لذة التأليف ومتعة القراءة"، د.قدور رحماني، مجلة الرافد، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات، ع ١٦٦، ٢٠١١م، ٥٩.

(٨) "القراءة والأمية الثقافية"، وائل ديوب، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، سوريا، المجلد ٤٣، ع ٤٨٧، ٢٠٠٤م، ٩١.

(٩) انظر:"القراءة والأمية الثقافية"، وائل ديوب، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، سوريا، المجلد ٤٣، ع ٤٨٧، ٢٠٠٤م، ٩٨-٩٩.

(١٠) انظر: القراءة الابتكارية، هند الجديع ،صحيفة الجزيرة، أول صحيفة سعودية تصدرعلى شبكة الانترنت، الثلاثاء، ٢٣/مارس/٢٠٠٤م، العدد ١١٤٩٩. http://www.al-jazirah.com/٢٠٠٤٠٣٢٣/٢٠٠٤/fe٨.htm

(١١) انظر:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨٢%٩D%٨B%١D%٨A%٧D%٨A%١D%٨A٩

(١٢) "مهارات القراءة عند الأطفال وأساليب تطويرها"، أ.د.ربحي مصطفى عليان، مجلة الأمن والحياة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، ع ٣٧٩، ٢٠١٣م، ٤٨.

(١٣) "القراءة والأمية الثقافية"، وائل ديوب، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، سوريا، المجلد ٤٣، ع ٤٨٧، ٢٠٠٤م، ٨٩.

(١٤) "الكتابة الأدبية بين لذة التأليف ومتعة القراءة"، د.قدور رحماني، مجلة الرافد، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات، ع ١٦٦، ٢٠١١م، ٥٦.

(١٥) انظر: "الكتابة الأدبية بين لذة التأليف ومتعة القراءة"، د.قدور رحماني، مجلة الرافد، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات، ع ١٦٦، ٢٠١١م، ٥٦-٥٧.

(١٦) انظر: القراءة والكتابة...علاقة ترابط وتفاعل دائم، هيثم البوسعيدي، السبت ٤ نيسان (أبريل) ٢٠٠٩م، موقع ديوان العرب
http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id___article=١٧٧٥٨

(١٧) "القراءة والأمية الثقافية"، وائل ديوب، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، سوريا، المجلد ٤٣، ع ٤٨٧، ٢٠٠٤م، ١٠٥ .

(١٨) انظر: "القرآن الكريم ودوره في تنمية مهارة الطلاقة اللغوية في لسان الطفل العربي"، فاطمة بنت فايز العميري الشهري، كتاب المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية ، المجلس الدولي للغة العربية، دبي، الإمارات، المجلد ٢، ٢٠١٥م، ٣٩٩- ٤٠٠.

(١٩) انظر: "الاستماع وتأثيره في تعليم اللغة العربية"، خالد كاظم الشمري، كتاب المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية ، المجلس الدولي للغة العربية، دبي، الإمارات، المجلد ٢، ٢٠١٥م، ١٠٢ .

(٢٠) انظر: رؤى في مفهوم القراءة: أقسامها، مستوياتها، مراحلها، مهاراتها، عبدالملك عيضه رداد الثبيتي. جامعة أم القرى
http://uqu.edu.sa/page/ar/٣٥٥٥٥